النقد المقارن عند الباحث الجزائري عبد المجيد حنون

Comparative criticism of the Algerian researcher Abdel Majid Hanoun

د. طارق بوحالة[1] / المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف -ميلة (الجزائر)، t.bouhala@centre-univ-mila.dz

د. هاجر بكاكرية/ المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف -ميلة (الجزائر)، h.bekakria@centre-univ-mila.dz

تاريخ الاستلام: 15/ 03/ 2022 تاريخ القبول: 10/ 06/ 2022 تاريخ النشر: 30 /06/ 2030

ملخص

نحاول في هذه المقالة الاقتراب من تجربة الباحث والأكاديمي الجزائري الدكتور عبد المجيد حنون، كونه أحد المتخصصين الأوفياء لمجال الدراسات المقارنة، ونسعى إلى التعريف بجهوده المبذولة في تطوير الدرس المقارن عربيا، وخاصة تجربته في النقد المقارن، وهو الذي درس وألف وترجمة في هذا الحقل المعرفي لما يربو عن أربعة عقود. مخلفا بذلك دراسات عديدة ذات أهمية بالغة لكل الدارسين في هذا الحقل.

الكلمات المفتاحية: عبد المجيد حنون، جامعة عنابة، الأدب المقارن الجزائري، النقد الأسطوري.

Abstract:

In this article, we try to approach the experience of the Algerian researcher and academic Dr. Abdel Majid Hanoun, as he is one of the loyal specialists in the field of comparative studies. Over four decades. He had many studies of great importance to all scholars in this field.

Keywords: *Abdel Majid Hanoun, Annaba University, The Algerian comparative literature, The Mythological critic.*

[1] د. طارق بوحالة ، **الإيميل:** t.bouhala@centre-univ-mila.dz

مقدمة:

1- عبد المجيد حنون: سيرة علميّة:

الباحث والأستاذ الجامعي عبد المجيد حنون هو أستاذ الأدب المقارن في جامعة باجي مختار -عنابة- الجزائر، منذ أكثر من ثلاثة عقود، وهو من مواليد 20 سبتمبر 1948، بمنطقة الشقفة التابعة لولاية جيجل الجزائرية، هاجر مع أسرته إلى مدينة عنابة هربا من ويلات الاستعمار، حيث تحصل على شهادة البكالوريا عام 1971، والتحق بجامعة قسنطينة ليتخرج منها سنة 1974، بشهادة الليسانس في الأدب العربي، وفي سنة 1975 التحق بجامعة القاهرة، لينال شهادة الماجيستير في الأدب المقارن سنة 1979. فالتحق بعد ذلك بجامعة عنابة أستاذا مساعدا، وفي سنة 1991، نال شهادة "الدكتوراه دولة" في الأدب المقارن من جامعة الجزائر[1]

تبين لنا هذه الفقرة تخصص عبد المجيد حنون في مجال الدراسات المقارنة، لا سيما وقد تتلمذ في جامعة القاهرة على أسماء عربية كبيرة نذكر منها: سهير القلماوي وعطية عامر، وشوقي ضيف وغيرهم ليقدم بعد ذلك أطروحته للدكتوراه في جامعة الجزائر عام 1991، تحت إشراف أبي العيد دودو أحد أقطاب الدرس المقارن في الجزائر وفي الوطن العربي. وقد خصص دراسته في هذا المستوى لموضوع: صورة الفرنسي في الرواية المغاربية. لينشره بعد ذلك في طبعة ثانية تحت عنوان: صورة الفرنسي والفرنسية في الرواية المغاربية.

2- مؤلفاته:

لقد وهب عبد المجيد حنون سنوات طويلة من عمره للتدريس وتكوين أجيال كثيرة من الباحثين في مجال النقد والأدب المقارن، كما اشتغل في التأليف والكتابة والترجمة في مجال الدراسات النقدية المقارنة، فلم يدخر جهدا في التعريف بالأدب المقارن، ومدارسه وأعلامه، وفتح النقاش المثمر عن أهم إشكالاته ومجالات اشتغاله، وله في ذلك مؤلفات ودراسات عديدة متخصصة. نذكر منها:

أ-الكتب:

صورة الفرنسي في الرواية المغاربية، ديوان المطبوعات الجامعية.

اللانسونية وأثرها في رواد النقد العربي الحديث.

العرب والأدب المقارن.

الأدب العربي والنقد الأسطوري.

ب-المقالات: ومنها:

1- أثر الأدب الفرنسي في الأدب الجزائري الحديث ذي التعبير العربي، مقال قدم ضمن مؤتمر عنابة الدولي الأول في الأدب المقارن.

2- محاولة لتحديد مفهوم مصطلح الأدب المقارن، مقال منشور ضمن أعمال الملتقى الأول للمقارنين العرب المنعقد في جامعة عنابة، جويلية 1984 ، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991.

3-مقال النقد الأسطوري والأدب العربي الحديث، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، عدد 14، شتاء 2005.

4-المستشرقون والنقد الجامعي عند العرب، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، العدد الثاني، ماي 2013 معهد الآداب واللغات، جامعة تامنغست، الجزائر.

ج- الترجمة:

ونعثر له في الترجمة على دراسات عديدة نذكر منها:

1-ترجمة مقال جان دارك، لسيمون فرانسيس، مجلة التواصل، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، العدد الثالث، 1998.

-2ترجمة كتاب: بير برونيل وأخرون الموسوم بـ: ما الأدب المقارن؟ وهي ترجمة مشتركة مع الباحثيّن: الدكتور عمار رجال والدكتورة نسيمة عيلان ، من منشورات مخبر الأدب العام والمقارن، جامعة عنابة، 2000.

3- جهود عبد المجيد حنون في تطوير الدرس المقارن:

لقد تخصص الدكتور عبد المجيد حنون في مجال الدراسات المقارنة منذ عقود، ويظهر ذلك منذ أولى دراساته الأكاديمية المقدمة لنيل شهادة الماجستير بجامعة القاهرة، وهي دراسة رائدة في النقد المقارن اشتغل فيها على اللانسونية وأثرها في رواد النقد العربي الحديث، وقد تتبعت هذه الدراسة ما خلفته المدرسة التاريخية الفرنسية في رواد النقد العربي الحديث ممثلين في كل من أحمد ضيف وطه حسين ومحمد مندور، وتعد هذه الدراسة الأولى من نوعها في تبني استعمال مفهوم "اللانسونية" كبديل عن المدرسة الفرنسيّة في الأدب المقارن، وهي مدرسة تاريخية رائدها هو الفرنسي غوستاف لانسون.

ووجب التنويه أنه من يعرف الأستاذ عبد المجيد حنون عن قرب يكتشف فيه عقلا منهجيّا دقيقا وفاحصا يحاول الابتعاد قدر الإمكان عن الحشو واللغو، فهو منهجي في تقديم المعلومة، دائما ما يبحث عن خلخلة المكرورات والمسلمات التي يكتسبها الطلبة في مراحل مختلفة من تكوينهم، وهو في سعي دائم من أجل تخريج باحثين أصحاب عقول نقدية . ويبدو أن اشتغاله الطويل في مجال الدراسات المقارنة قد خلق عنده هذا الوعي النقدي والمعرفي، وهو ما أراد أن يورثه لطلبته. محاولا التنويع في الموضوعات التي يشرف عليها أو يقترحها على طلبته أو باحثين آخرين... [2]

وقد تنوعت القضايا التي اشتغل عليها الباحث لتشمل مباحث عديدة مرتبطة بمجالات الأدب العام والمقارن، والأساطير الأدبية والأدب الهامشي والترجمة الأدبية والمعارف النقدية وغيرها. ومن أهم الجهود التي بذلها، محاولته الأولى لتقديم مفهوم للأدب المقارن. وبحثه عن مواطن تأثير المنهج التاريخي في رواد النقد العربي الحديث، وهي القضايا التي سنعرضها في هذه الورقة البحثية التي لا تتصف بطابع المراجعة والنقد بقدر ما تسعى إلى تبني آليات العرض والإشارة والتثمين.

4-نحو تحديد مفهوم الأدب المقارن:

يقدم عبد المجيد حنون محاولة جادة لتحديد مفهوم الأدب المقارن، حيث ورد ذلك في مقال له كان في الأصل مداخلة قدمت ضمن أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب، الذي عقد من 8 جويلية، إلى 12 من الشهر نفسه عام 1984، بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة عنابة. الجزائر والذي حضره مجموعة من المتخصصين في الأدب المقارن في العالم العربي مع تسجيل محاضرة الفرنسي ميشال باربو.

يتتبع الباحث مفهوم الأدب المقارن في الدرس العربي مركزا على المحطات المفصليّة التي عرفها تطور هذا المجال منذ الأربعينيات من القرن الماضي، حين تسرب هذا المفهوم عام 1945 إلى الوطن العربي يكتنفه الغموض، وذلك عندما " قررت دار العلوم التابعة لجامعة القاهرة إدخال مادة الأدب المقارن في مقرر قسم الأدب العربي والنقد والبلاغة الحديث النشأة وتولى تدريس هذه المادة على التوالي إبراهيم سلامة وعبد الرزاق حميدة، دون تحديد دقيق لمفهوم الأدب المقارن، بل قدما تعاريف عامة ومتناقضة في الكثير من الحالات... وبعد ثلاث سنوات ظهر كتاب للأستاذ نجيب العقيقي يحمل عنوان: من الأدب المقارن، ولكني لا أعتقد أنه من الأدب المقارن في شيء لأن مفهوم الأدب المقارن غير الذي لديه البتة"[3]

ويجد الباحث أن مفهوم الأدب المقارن قد عرف بوضوح مع الباحث المصري محمد غنيمي هلال خريج جامعة السربون وتلميذ أحد أقطاب المدرسة الفرنسية وهو "جان ماري كاري" وذلك حين شرع غنيمي هلال في تدريس مقياس الأدب المقارن بكلية دار العلوم عام 1952، متبنيا أن : " الأدب المقارن هو دراسة الأدب القوميّ في علاقاته التاريخيّة بغيره من الآداب الخارجة عن نطاق اللغة القوميّة التي كتبت بها."[4]

ينبثق رأي محمد غنيمي هلال حول مفهوم الأدب المقارن من المفهوم الفرنسي الذي يفيد البحث في العلاقات التاريخية، ومواطن التأثير والتأثر بين أدبين أو أكثر بشرط أن يكون هناك اختلاف بينها من حيث اللغة والحدود الجغرافية.

وبعد تتبع تطور مفهوم الأدب المقارن في سنوات الستينيات والسبعينيات يرى الدكتور حنون أن مفهوم الأدب المقارن قد عرف تطورا جذريّا مع مجيء سنوات الثمانينيات إثر خروج الباحثين العرب من سجن المدرسة الفرنسية ومفهومها الخاص للأدب المقارن وحاولوا الانفتاح على مجالات وموضوعات جديدة بنظرة أكثر تحرر من التزام الصلة التاريخية بين الآداب.

5-المدرسة التاريخية وتأثيرها في رواد النقد العربي الحديث:

يعد بحث الدكتور عبد المجيد حنون عن المدرسة التاريخية أو كما وسمها بـ "اللانسونسة" وأثرها في رواد النقد العربي الحديث من البحوث الرائدة في مجال النقد المقارن في الوطن العربي. وقد كشف في هذا البحث عن مواطن تأثير المدرسة التاريخية في الأدب المقارن في أعمال رواد النقد العربي الحديث ، وقد خص –كما ذكرنا- أحمد ضيف وطه حسين ومحمد مندور.

وما يحسب لهذا البحث أنه من البحوث القليلة التي تهتم بمجال النقد المقارن عربيا، وهو ما ينبه إليه الباحث قائلا: "أما النقد فعدا إشارات عابرة، في دراسات أدبية عامة ومقالات ، إلى تأثر النقد العربي الحديث بالنقد الأوربي أو الفرنسي، دون بحث دقيق لأوجه التأثر والتأثير ومصادره، لم أعثر إلا على ثلاثة عناوين تبدو دراسات مقارنة للنقد هي: النقد الجمالي وأثره في النقد العربي لروز غريب،... في النقد التطبيقي والمقارن للدكتور محمد غنيمي هلال وطه حسين، نقده ومصادره الفرنسية، لمفتاح طاهر، هذه الدراسة في الأصل رسالة جامعية، قدمها صاحبها في جامعة ستراسبورغ استعرض فيها نقد طه حسين وتأثره بالمدرستين النقديتين: التأثرية والتاريخية، وأثبت فيها تأثر الرجل بالمدرستين السالفتي الذكر، إلا أنه لم يبين بوضوح نتائج ذلك التأثر على الأدب العربي من خلال دراسات طه حسين النقدية..." [5]

انطلاقا من هذه القلة التي وقف عليها الباحث في الدراسات العربية، فقد أخذ على عاتقه مهمة البحث والتنقيب عن أثر المدرسة الفرنسيّة في رواد النقد العربي الحديث مركزا كما ذكرنا على أحمد ضيف،

وطه حسين، ومحمد مندور. وهم يمثلون نموذجا واضحا، يمكن الكشف به عن أهم مواطن تأثير المدرسة التاريخية في منجزهم النقدي. خاصة أنهم درسوا في جامعة السربون، مما يجعل توفر شرط التأثر المباشر برواد المدرسة التاريخية متحققا وذلك من خلال "غوستاف لانسون" نفسه أو عبر تلاميذه ومريديه.

وسنركز في هذا المبحث على الجهد المبذول من قبل عبد المجيد حنون في التعريف بأحد رواد النقد والتجديد المنهجي في مصر بعد عودته من فرنسا عام 1917 ليكون له السبق في تدريس ودراسة النقد والبلاغة بطرق جديدة متأثرا بالمدرسة التاريخية في الأدب المقارن.

ويستهل عبد المجيد حنون دراسته في النقد المقارن بالبحث في جهود المصري أحمد ضيف كونه " أول من أحرز على درجة الدكتوراه في الأدب من فرنسا، وأول من اتصل تاريخيا باللانسونية عن طريق تتلمذه على أعلامها الأوائل، وأول من درس النقد ومفاهيم حديثة في الدرس الأدبي في الجامعة المصرية."[6]

وقد وصف الناقد المصري جابر عصفور أحمد ضيف في كتابه الهوية الثقافية والنقد الأدبي بأنه الرائد المنسي...[7]

ومما يحسب لدراسة عبد المجيد حنون هو أنها الدراسة العربية الجادة والفريدة التي اشتغلت على منجز المصري أحمد ضيف، الذي تقل عنه الدراسات النقدية والأكاديمية لأسباب عديدة، أبرزها قلة الكتب والدراسات التي أنجزها، ولهذا فقد عاد الباحث إلى هذه الكتب القليلة، ليكشف عن أسس النقد التاريخي وطريقة تطبيقه على المدونة العربية شعرا ونثرا، وقد قارب كتاب أحمد ضيف الذي يحمل عنوان: بحث في الغنائية والنقد الأدبي عند العرب وهو في الأصل أطروحته للدكتوراه قدمها عام 1918 بفرنسا.

وكان له ذلك بعدما "قضى ست سنوات من التلمذة على أقطاب المنهج التاريخي بالاستماع إلى الدروس ومتابعتها والمحاضرات العامة التي كانت تقدم الدكتوراه بإشراف الأستاذ رني أحد أتباع لانسون والمخلصين له"[8]

ويرى عبد المجيد حنون أن أحمد ضيف هو " أول من ثار على مناهج دراسة الأدب العربي وتدريسه واقترح بديلا عن ذلك، يتمثل في الاقتداء بالأوربيين وتطبيق المنهج الجامع بين الذوق والمعرفة بعيدا عن أي تعصب علمي أو مذهبي أو ذوقي، والاستعانة بالعلوم المساعدة للوصول ما أمكن إلى الحقيقة الصحيحة فكان بذلك أول لانسوني عربي من حيث الصلة والدعوة."[9]

يعد أحمد ضيف حقا من الباحثين العرب الأوائل الذين تأثروا بالمنهج التاريخي ورائده غوستاف لانسون، وهو لا يختلف عن النقاد الذين لحقوه خاصة طه حسين ومحمد مندور، ويبدو أن الظروف والسياقات المختلفة بينهم جعلت أحمد ضيف لا يظهر كثيرا في الدرس النقدي الحديث. رغم أن محاضراته الأولى قد كانت "حدثا اجتذب إليه ا أدباء الشباب الذين وجدوا في دعوته ما يستجيب إلى حماستهم الوطنية الصاعدة، خصوصا أنه كان الفارس الوحيد الذي سبق "طه حسين" الذي كان لا يزال في بعثته لدراسة التاريخ، وظل "ضيف" كذلك حتى بعد أن عاد طه حسين وتولى تدريس مادة التاريخ القديم إلى أن ساعده حماته من أقطاب حزب الأحر الدستوريين على الانتقال إلى قسم اللغة العربية"[10]

يبقى الناقد المصري أحمد ضيف رائدا في الدعوة إلى التجديد في مناهج النقد العربي دراسة وتدريسا، كما يدعو ذلك الباحثين إلى الالتفات إلى أعماله والبحث فيها والتنقيب عن موضوعات عديدة تخص النقد والبلاغة.

ينتقل عبد المجيد حنون بعد ذلك إلى الناقد الثاني الذي تأثر باللانسونية أو المدرسة التاريخية الفرنسية تنظيرا وتطبيقا مراعيا التسلسل التاريخي، وهو طه حسين الذي يعد أشهر من أحمد ضيف في هذا المجال رغم أسبقية الأول، كونه كان أكثر حضور تأليفا وانخراطا في السياقات المصرية المختلفة أكاديميا وسياسيا وثقافيا. ويظهر أن طه حسين قد كان "منهجه ...هو منهج الشك الديكارتي الذي يعتبر موقفا فلسفيا من الحياة كلها وأسلوبا في التعامل معها، والذي كان المنطلق الفكري للمنهج التاريخي الصرف الذي استحدثه "سنيوبوس" أستاذ طه حسين في التاريخ ثم طبقه لانسون في دراسة الأدب والتأريخ له: ومن ثم يدعو طه حسين في كتابه هذا إلى المنهج التاريخي." [11]

يأتي هذا القول في سياق الحديث عن كتاب طه حسين " في الشعر الجاهلي" الصادر عام 1926 والذي أثار لغطا كبيرا عند صدوره، حيث أوصل صاحبه إلى المحاكم، وفيه يدافع طه حسين عن أطروحته الشهيرة التي تخص قضية الانتحال الذي لحق الشعر العربي القديم، مستعينا في ذلك بما سماه منهج الشك الديكارتي، وهو كتاب في "منهج التأريخ للغة والأدب وطرائق نقد النصوص وتصحيح نسبتها، وقد فتح الكتاب –وهو يعالج مادته- بابا واسعا في النظر إلى التراث ودعا إلى مناهج جديدة تدرس هذا التراث وتقومه..."[12]

ويتتبع عبد المجيد حنون مواطن تأثر طه حسين بالمنهج التاريخي/ اللانسوني في كتبه الأساسية خاصة كتبه: في الشعر الجاهلي، وفي الأدب الجاهلي، وتجديد ذكرى أبي العلاء، لينتقل بعد ذلك إلى تجربة الناقد المصري محمد مندور تلميذ طه حسين وأحد المتأثرين بالمدرسة التاريخية.

ولقد اقتنع مندور باللانسونية، فدعا طيلة حياته النقدية للأخذ بها في دراسة الأدب العربي تلميحا أحيانا وتصريحا أحيانا أخرى، وكان متمثلا ومستوعبا لهذا الاستيعاب التام، الأمر الذي دفعه إلى ترجمة مقالة لانسون حول منهج البحث في الأدب التي تعد دستور اللانسونية، وذلك حتى يضع أمام القارئ والبحث العربي المنهج المفضل لديه في أكمل صورة."[13]

كما يخصص عبد المجيد حنون بابا ثالثا من كتابه تضمن ثلاثة فصول تبحث في محطات حياة محمد مندور الأساسية والتي كانت ذات أثر بالغ في تبنيه للمنهج التاريخي خاصة رائده الفرنسي غوستاف لانسون، وأهم المقولات النظرية التي استغلها مندور في كتبه العديدة، وكيفية تطبيقها في قراءة نصوص من النقد العربي القديم خاصة في كتابه الأساسي "النقد المنهجي عند العرب." وقد توصل الباحث إلى نتيجة مفادها "أن مندور طبق المنهج التاريخي اللانسوني تطبيقا صارما، بعدما دعا له دعوة واضحة صريحة في كتابه "النقد المنهجي عند العرب" الذي كان بداية التطبيق الدقيق للمنهج التاريخي، بعد فترة من الدعوة له..."[14]

6-خاتمة:

تعد هذه الشهادة غير كافية عن جهود الباحث والناقد الجزائري عبد المجيد حنون الذي مثل حقيقة صفة الباحث المتخصص في مجال الدراسات المقارنة، وهو من القلائل الذين كرسوا جهودهم لترسيخ هذا التخصص في الجامعة الجزائرية، وزرعه بين طلبته الذين يتوزعون على جامعات الوطن أساتذة وباحثين، كما إن الدكتور عبد المجيد حنون لم يبق حبيسا لمباحث الأدب المقارن الأولى التي أصبحت تقليدية والتي كرستها المدارس الكبرى، الفرنسية والأمريكية والسلافيّة، بل نجده قد فتح المجال للبحث في موضوعات جديدة

ارتبطت بالتغيرات التي عرفتها البنيات المعرفية والثقافية والتي أثرت في الدرس الأدبي عموما، لهذا فقد وجه طلبته للبحث في مجالات الأدب الهامشي، والنقد الثقافي المقارن، والأدب العام والأدب البوليسي، وتداخل الأدب والفنون وغيرها من المباحث ا لأخرى.

الهوامش:

1-علي خفيف وآخرون: معجم أعلام النقد العربي في القرن العشرين، منشورات مخبر الأدب العام والمقارن، جامعة عنابة، دط- ص233.

2- كان لي حظ وافر في التتلمذ عند الدكتور عبد المجيد حنون لمواسم دراسية متتالية، 2009-2010، 2010-2011، 2011- 2012.

3- عبد المجيد حنون: محاولة لتحديد مفهوم مصطلح الأدب المقارن، مقال منشور ضمن أعمال الملتقى الأول للمقارنين العرب المنعقد في جامعة عنابة، جويلية 1984 ، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991، ص 31.

4- المرجع نفسه، ص 32.

5-عبد المجيد حنون: اللانسونيّة وأثرها في رواد النقد العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1996، ص ص6-7.

6-عبد المجيد حنون: المدرسة التاريخية في النقد العربي الحديث، دار بهاء الدين، الجزائر، ط1، 2010، ص 175.

7- جابر عصفور: الهوية الثقافية والنقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1،2010، ص 257

8- عبد المجيد حنون: المدرسة التاريخية في النقد العربي الحديث، ص 164.

9- المرجع نفسه، ص 196.

10-جابر عصفور: الهوية الثقافية والنقد الأدبي، ص 257، 258.

11- عبد المجيد حنون: المدرسة التاريخية في النقد العربي الحديث، ص 260.

12- طه حسين: في الشعر الجاهلي، دار النهر للنشر والتوزيع، الدقي، مصر، ط2، 1996، ص7.

13-عبد المجيد حنون: المدرسة التاريخية في النقد العربي الحديث، ص 338.

14-المرجع نفسه، ص 369، 370.